



عودة الدومينو

"الجوهرة" التي كان يتوقع العالم اجمع ان ينطقها كولن باول امام مجلس الامن يوم الاربعاء تأخرت الى الامس، لكنها خرجت اخيراً من ثغره حين تكلم امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ عن احتمال ان يؤدي نجاح الولايات المتحدة في حربها المرتقبة على العراق الى اعادة تشكيل الشرق الاوسط "جنزياً" و"بطريقة ايجابية، بما يعزز مصالح الولايات المتحدة". اعادة تشكيل الشرق الاوسط! ليس من احد في الشرق الاوسط كله يجهل حضور هذا التطلع وراء الاستعدادات الحربية الاميركية.

اصلاً، لم يبدأ الحديث عن الحرب يتسع الا بعدما راح العديد من الاميركيين القريبين من مركز القرار يروجون لفكرة استخدام "العراق الجديد" كرافعة (او فزاعة) من اجل احداث تغيير عميق في المعادلات الاقليمية. لكنها المرة الاولى التي تقفز فيها هذه الفكرة الى الواجهة على لسان مسؤول في مرتبة باول.

والامر بالتأكيد لم يكن هفوة، بل الارجح ان وزير الخارجية الاميركي قد تعمد تحديد رهان للحرب الآتية يتجاوز مسألة نزع السلاح العراقي، لشعوره انه نجح في اقناع الكونغرس بصلاية "الدلائل" التي قدمها امام مجلس الامن عن ذلك السلاح، وإن لم يفلح بالمقدار نفسه مع الحكومات المعارضة لمنطق الحرب. من المعروف ان الاميركيين لم يتنبهوا الى ضرورة "اعادة تشكيل الشرق الاوسط"، الا في سياق محاولتهم الرد على السؤال الذي انفجر في وجههم ذات يوم من ايلول ٢٠٠١: لماذا يكرهوننا؟ حتى تلك اللحظة، كانوا يتعايشون بافضل السبل مع الشرق الاوسط القديم، رغم كل ما نسجته المخيلة الشعبية العربية حول مخططات تقسيمية كانت تنسب عادة الى هنري كيسينجر. لماذا يكرهوننا؟ لاننا تركنا انظمة فاسدة تشيع ثقافة سياسية معادية لقيمنا، حتى ولدت منها انشطة سياسية معادية لمصالحنا. كيف نجعلهم يتوقفون عن كرهنا؟ نتخلى عن الانظمة القائمة او نجبرها على "التحديث" من خلال استحداث قاعدة جديدة لنا، مع منافع نفطية مماثلة.

هكذا نضرب عصفورين بحجر واحد: نبرهن للعالم ان احادية القطب ليست كلاماً فارغاً، فنحن من يقرر من له ان يحيا ومن له ان يموت، ونطلق عجلة التغيير عند حلفائنا القديمين في المنطقة. في جانبه الثاني، يكمن الرهان في استعادة لعبة الدومينو، تلك التي شكلت في ما مضى هاجساً للادارات الاميركية المتعاقبة، حيث اطلق هذا الاسم على نظرية استراتيجية تقول بعدم جواز سقوط اي بلد، مهما كان صغيراً، في يد العدو (الشيوعي آنئذ) لأن ذلك يؤدي الى سقوط جيرانه واحداً تلو الآخر. وعلى هذا الاساس، خاضت الولايات المتحدة حرب فيتنام، وقبلها تدخلت في الكونغو وفرضت الحصار على كوبا. وهذا تحديداً ما يفترض ان يوحي لها صعوبة التخطيط للعبة دومينو هجومية تنطلق من العراق. فحتى في غياب قوة عظمى اخرى تصدّها كما صدّت هي ما كانت تعتبره توسعاً للاتحاد السوفياتي، تملك الولايات المتحدة ما يكفي من الخبرة لتدرك ان سكة الدومينو تتعثر ايضاً امام خصوصيات كل بلد.

بكلام اوضح، ان قيام عراق ديموقراطي، بالافتراض انه سيقوم، لا يستتبعه آلياً انتقال الجزيرة العربية الى الديموقراطية. على العكس، ان الوسيلة المعدّة لفرض الديموقراطية في العراق من شأنها



تأجيج المشاعر المعادية للولايات المتحدة خلال الفترة التي ستستلزمها الديمقراطية حتى تستقيم. لا شك في ان نظرية الدومينو الهجومية الكامنة في رهان اعادة تشكيل الشرق الاوسط، جذابة على الورق. لكنها في الواقع قد تؤدي الى ما يشبه حال الذي يمسك اذنه اليسرى بيده اليمنى، فيما لا يخرج من فيه الا كلمتين اثنتين: لماذا يكرهوننا؟

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000675	
Media	(Support)	HC
Title		عودة الدومينو
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٢/٧ 7/2/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	كولن.باول – هنري.كيسينجر
	Locations	ولايات.متحدة – شرق.اوسط – عراق – اتحاد.سوفياتي – كونغو
	Dates	أيلول.٢٠٠١
	Themes	ولايات.متحدة.شرق.اوسط – عراق – أنظمة.عربية – نפט – حرب.على.عراق – شرق.اوسط.قديم – حزب.شيوعي – اجتماع.مجلس.امن – شرق.اوسط.جديد – شيوعية – جزيرة.عربية – كولن.باول – ديموقراطية
Subject		